الكلم الطيب وأدب الحوار

١صفر ١٤٣٧هـ الموافق ١٣نوفمبر ٢٠١٥م

أولا: العناصر:

١. قيمة الكلمة الطيبة وأثرها في استمالة النفوس.
٢. أهمية الحوار بالكلم الطيب في حياة الإنسان.
٣. آداب الحوار في الإسلام.
٤. نماذج من الحوار الإيجابي في القرآن.
٥. آفات وسلبيات تفسد الحوار.

ثانيا: الأدلة:

من القرآن الكريم:

١. وقال تعالى:{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ}[الروم: ٢٢].
٢. وقال تعالى: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} [البقرة: ٨٣].
٣. وقال تعالى: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا} [الإسراء: ٥٣].
٤. وقال تعالى:{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ }[إبراهيم : ٢٤ ـ ٢٥].
٥. وقال تعالى:{ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}[فاطر: ١٠].
٦. وقال تعالى:{ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}[النحل: ١٢٥].
٧. وقال تعالى:{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}[البقرة:٣٠].
٨. وقال تعالى:{يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}[هود:٣٢].
٩. وقال تعالى:{قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً}[الكهف:٣٧].

من السنة النبوية:

١. عَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : « إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الأَلَدُّ الْخَصِمُ». (رواه البخاري).

٢. وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ سَعْدٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنْ عَلِيٍّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم): « إِنَّ فِى الْجَنَّةِ غُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا ». فَقَامَ أَعْرَابِىٌّ فَقَالَ لِمَنْ هِىَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ « لِمَنْ أَطَابَ الْكَلاَمَ ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ ، وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ » (رواه الترمذي).

٣. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»[متفق عليه] .

٤. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» [متفق عليه] .

٥. وعَنْ أَبِى أُمَامَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : « أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِى رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا ، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا ، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ » (رواه أبو داوود).

٦. وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ قَالَهَا ثَلَاثًا» (رواه مسلم).

٧. وعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) أن النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: « إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِى شَىْءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَىْءٍ إِلاَّ شَانَهُ » (رواه مسلم).

ثالثا: الموضوع:

لقد خلق الله (عز وجل) الإنسان وصَوَّره في أحسن تقويم ، وكان من آيات الله (عز وجل) الباهرة في خلق الإنسان تنوع وظائف اللسان ، قال تعالى:{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ}[الروم:٢٢]. ونتج عن هذا التنوع في اختلاف الألسنة اختلاف

في إدراك الكلام ـ مفهومه ومنطوقه ـ ، وهذا الاختلاف سنة من سنن الله (عز وجل) في خلقه ، قال تعالى: {وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}(هود: ١١٨ ــ ١١٩). فالخلاف بين الناس أمر طبيعي في حياة الناسِ ، فهم مختلفون في ألوانهم وألسنتهم وطباعهم ومُدركاتهم ومعارفهم وعقولهم ، ولا يتمُّ إزالة هذا الاختلاف إلا من خلالِ حوارٍ هادفٍ هادئ ، يقرِّبُ بين وجهاتِ النظرِ ، ويخاطب العقول بالكلم الطيب لتهتدي إلى طريق الخير والرشاد والصواب.

والكلم الطيب هو لغة الحوار الناجح ، لذلك ضرب الله (عز وجل) المثل به في القرآن الكريم بشجرة طيبة مثمرة ، قال تعالى:{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}[إبراهيم:٢٤ ـ٢٥]. وقال تعالى:{ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ }[فاطر: ١٠]. وكان النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) يحب الكلم الطيب بل ويشجع عليه ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ، عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : «لاَ عَدْوَى ، وَلاَ طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ قَالُوا وَمَا الْفَأْلُ قَالَ: كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ. ». (رواه البخاري). وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ سَعْدٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنْ عَلِيٍّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم): « إِنَّ فِى الْجَنَّةِ غُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا ». فَقَامَ أَعْرَابِىٌّ فَقَالَ لِمَنْ هِىَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « لِمَنْ أَطَابَ الْكَلاَمَ وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ وَأَدَامَ الصِّيَامَ وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ» (رواه الترمذي).

وحسن القول وطيب الكلم من أهم أسباب التذكر والخشية وصلاح الأعمال ، ومغفرة الذنوب ، وبه تقطع أسباب الخصومة ، وتغلق أبواب الفتن ، وتشيع روح المودة والمحبة، فالكلم الطيب جامع لكل خير في الدارين ، وقد أمرنا الله تعالى بأن نقول الكلمة الطيبة لجميع الناس دون تفرقة ، قال تعالى: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا...}[البقرة : ٨٣] ، وقال: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[الإسراء : ٥٣]

فالكلمة عنوان الإنسان ، وبها تكاد تكونُ كلَّ شيء في حياة الإنسان ، فهي إما أن تبلغ بالإنسان أرقى الدرجات، أو تهوي به في أسفل الدركات ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» .

والحوار بالكلم الطيب يعد من أفضل الطرق التي تؤدي إلى إزالة المبهمات ، وهو وسيلة ضرورية للتواصل والتفاهم مع الآخرين ، ووسيلة من أعظم وسائل التعارف والتآلُف بين الناس ، ولا يخفى ما للكلمة من أثر طيب في العلاقة بين الناس ، والحوار بالكلم الطيب هو أحد الطرق الموصلة إلى الرجوع إلى

الحقّ . وإضافة لكل ما سبق من أهمية الحوار فهو وسيلة لتهذيب النّفوس وتربيتها ، ولا غنى للناس عنه بأي حالٍ من الأحوال.

ومن أجل إعلاء قيمة الحوار وأهميته أدَّب الله (عز وجل) عباده في شخص رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم) بما يكفل للحوار أن يؤتي ثمرته المرجوة من خلال هداية الخلق إلى الحق ، والمتدبر لآيات القرآنِ الكريمِ والسنة النبوية المطهرة يجد الكثير من النصوصِ التِي تُرشِدُ الأمة كلها إلَى أهميةِ الحوارِ بالكلم الطيبة فِي حياةِ الناسِ ، وتُعلِّمُنَا أصول الحوار والمناظرة ، والأخذ بأسبابِ الإقناع ، والمجادلة بالتي هي أحسن ، لأنَّ الهدف هو إقناعُ الآخر لعله يهتدي إلى الصواب وفْق آدابٍ وضوابطَ ينبغي مُراعاتها، ولا يكون ذلك إلا بالكلم الطيبة ، يقول سبحانه: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: ١٢٥]، بل إن أهل الكتاب الذين يخالفوننا في أصول العقيدة وفروعها يأمرنا ربنا حين نحاورهم ونجادلهم أن يكون حوارنا بالحسنى والرفق واللين ولا يكون ذلك إلا بالكلم الطيب، فالرفق زينة الأشياء ، فعَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ (رضي الله عنها) أن النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : « إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِى شَىْءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَىْءٍ إِلاَّ شَانَهُ »(رواه مسلم)، ويقول (عز وجل):{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [العنكبوت: ٤٦]،

وقدْ ذكّرَ القرآنُ الكريمُ جانبا من صور الحوار ، وخاصة حوار الله (عز وجل) مع الملائكة ، ومن ذلك قوله تعالى: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ}[البقرة: ٣٠ ـ ٣٣].

ومن صور الحوار التي عرضها القرآن الكريم: حواره (سبحانه) مع عيسى (عليه السلام): قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ

وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[المائدة: ١١٦ـ ١١٩].

ولقد سجل القرآن الكريم جانبًا كبيرًا من حوارات الرسل (عليهم السلام) مع أقوامهم ، والتي استعمل الأنبياء فيها كل الأساليب العقلية والنقلية كي يصل العباد إلى طريق الحق والرشاد.

ومن أروع صور الحوار بين الأنبياء وأقوامهم: ما سجله القرآن الكريم من حوار رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) مع مشركي مكة ، حين حاورهم بالحسنى وهم مصرون على أنهم على الحق وغيرهم على ضلال ، قال تعالى : {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ }[سبأ: ٢٤] ، ففي هذا الحوار استخدم الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) ما يعبر عنه البلاغيون بأسلوب الإنصاف (وإنا أو إياكم) ، ولم يقل : " إنا على هدى وأنتم على ضلال " على الرغم من علو مكانته وشرف دعوته (صلى الله عليه وسلم) . وهذا أسمى وأبلغ وأفصح تعبير عن احترام حرية الآخر في الاختيار ، وعن احترام اختياره ، حتى ولو كان على خطأ ، بل وذهب الحوار المحمدي إلى أبعد من ذلك ، عندما قال القرآن الكريم في الآية التالية مباشرة للآية السابقة :{ قُل لاَّ تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ}[سبأ: ٢٥] ، فوصف (صلى الله عليه وسلم) اختياره للحق إجرام ـ من وجهة نظرهم السقيمة ـ ووصف اختيارهم للباطل عمل ، من أجل أن يستميل قلوبهم ، ثم فوض الأمر لله (عز وجل) ليحكم بينهم ، قال تعالى: { قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ}[سبأ: ٢٦].

كذلك من صور الحوار الهادف المثمر ما حدث بين سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وزوجه السيدة أم سلمة (رضوان الله عليها) يوم الحديبية ، فكان حوارا هادئا بين طرفين يريدان الوصول لنجاة الناس من الهلاك ، فكان من ثمرته أن امتثل الصحابة لكلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فبعد أن انتهى النبي (صلى الله عليه وسلم) من إبرام عهد الصلح بينه وبين أهل مكة قَالَ لأَصْحَابِهِ: (قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا) قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : يَا نَبِيَّ اللهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا) (رواه البخاري).

وفي هذا كله درْسٌ عظيمٌ ، وتربيةٌ ربانيةٌ ، نُدرِكُ مِنْ خلالِها أهميةَ الحوارِ فِي حياتِنَا ، ونتعلَّمُ أن حُسْنَ الإصغاءِ للآخرينَ ـ ولَوْ كانُوا غيْرَ مُحِقِّينَ من وجهة نظرنا ـ ، فمجرد حسن الإصغاءِ إليهم ، يجعلنا نحتوي كلّ ما لديهِمْ من الحُجَجِ ، والأعذارِ والتأويلات ، للوقوفِ على سببِ الخلافِ وعلاجه ، ولكي يعلمَ الطرفُ الآخرُ الذي تحاوره أنكَ تُشارِكُهُ همومَهُ ، وأنكَ تسعى لإيصال الخير له.

ولكي يكون حوارنا مثمرا هادفا لابد وأن نراعي فيه عدة آداب ،منها:

- **الإخلاص لله (عز وجل)**: بمعنى أن يبتعد المحاور والمناظر عن الرياء والسمعة ، ويجعل هدفه من حواره الحرص على طلب الحق لا التفوق على الآخرين ، والانتصار للنفس، وانتزاع الإعجاب والثناء ، قال الإمام الشافعي (رضي الله عنه): "ما ناظرت أحدًا إلا تمنيت لو أن الله أظهر الحق على لسانه".
- **التجرد للحق والانتصار له** : فالمؤمن ضالته هي الحق فمتى وصل إليها فهي له ، ولن يصل إليها إلا إذا تجرد للحق .
- **العدل والإنصاف**: فمن تمام الإنصاف قبول الحق من الخصم ، وقد ذكر القرآن نماذج للعدل والإنصاف ما ذكره الله – سبحانه – في وصف أهل الكتاب: {لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ}[آل عمران:١١٣] .
- ومنه ما ورد في حوار النملة مع بني جنسها حين أنصفت سليمان وجنوده ووصفتهم بأنهم لا يشعرون بالنمل ، وهذه حقيقة مؤكدة وقد سجل القرآن الكريم هذا الحوار المنصف ، فقال تعالى: حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ } [النمل :١٨] .
- **الالتزام بالهدوء لإلزام الآخر بالحجة** ، فكلما علا الصوت كان دليلا على ضعف قوة صاحبه ، ومما يذكر في هذا الأمر ما جاء من حوار حبر الأمة سيدنا عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما) مع الخوارج ، تلك الفئة الضالة التي ابتليت بها الأمة ، فاستباحوا الدماء والأعراض لمجرد الهوى والجهل ، فلقد أوفد سيدنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه وكرم الله وجهه) سيدنا عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما) إلى الخوارج المعروفين بالحرورية ، فذهب إليهم ابن عباس (رضي الله عنه) وعليه حلة جميلة، فلما أقبل، قالوا له: يا ابن عباس، ما الذي جاء بك؟ وما هذه الثياب التي عليك؟– فقال: أما الثياب التي عليَّ، فما تنقمون مني؟ فوالله ، لقد رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعليه حلة ليس أحد أحسن منه، ثم تلا عليهم قوله تعالى: { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَات منَ الرِّزْق قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالصَةً يَوْمَ الْقيَامَةِ} [الأعراف:٣٢].

- قالوا: ما الذي جاء بك يا ابن عباس؟

- قال: جئتكم من عند أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وليس فيكم أنتم يا معشر الخوارج واحد من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وجئتكم من عند ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعني: - علي بن أبي طالب-، وعليهم نزل القرآن ، وهم أعلم بتأويله ، جئت لأبلغكم عنهم ، وأبلغهم عنكم، فأنا رسول- أي وسيط- بينكم وبينهم.

- قال بعضهم: لا تحاوروا ابن عباس ، لا تخاصموه ، فإن الله تعالى يقول عن قريش: {بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ} [الزخرف:٥٨]، فلما خافوا من الهزيمة قالوا: اتركوا هذا، هذا جدل إنسان خَصِم! وقال بعضهم: بل نكلمه، ولننظر ماذا يقول؟

- قال ابن عباس (رضي الله عنهما): فكلمني منهم اثنان أو ثلاثة ، فقال لهم: ماذا تنقمون على علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)؟ قالوا: ننقم عليه ثلاثة أمور ، قال: هاتوا.

- قالوا: الأول: أن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) حكَّم الرجال في كتاب الله ، يعني: بعث حكمًا منه ، وحكمًا من معاوية (رضي الله عنه) ، وقصة التحكيم معروفة، والله تعالى يقول: (إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ) [الأنعام:٥٧]. - قال: هذه واحدة ، فما الثانية؟

- قالوا: الثانية : أن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قاتل ولم يسْبِ - أي قاتلهم وما سبي نساءهم-، فلئن كانوا مسلمين فقتاله حرام ، ولئن كانوا كفارًا فلماذا لم يسبهم؟ قال: وهذه أخرى ، فما الثالثة؟

- قالوا : الثالثة: أنه نزع نفسه من إمرة المؤمنين لمَّا كتب الكتاب، فلم يكتب أمير المؤمنين؛ بل قال: علي بن أبي طالب. - قال: أوقد فرغتم؟ قالوا: نعم.

- قال: أما الأولى: فقولكم: حكَّم الرجال في كتاب الله تعالى، فإن الله تعالى يقول في محكم التنزيل: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ} [المائدة:٩٥]، فذكر الله تعالى حكم ذَوَيْ عدل فيما قتله الإنسان من الصيد ، سألتكم الله تعالى! التحكيم في دماء المسلمين وأموالهم أعظم ، أم التحكيم فيما قتله الإنسان من الصيد؟

- قالوا: لا ؛ بل التحكيم في دماء المسلمين وأموالهم أعظم.

- قال: فإن الله تعالى يقول في كتابه: { وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا} [النساء:٣٥]، ناشدتكم الله تعالى! التحكيم في دماء المسلمين وأموالهم أهم ، أو التحكيم في بُضع امرأة؟

- قالوا: لا، التحكيم في دماء المسلمين وأموالهم. قال: انتهت الأولى؟ قالوا: نعم، فالثانية؟

– قال: أما الثانية، فقولكم: قاتل ولم يسْبِ، هل تسْبون أمكم عائشة (رضي الله عنها)لأنها كانت في الطرف الآخر–، وتستحلون منها ما يستحل الرجال من النساء، إن قلتم ذلك كفرتم، وإن قلتم ليست بأمِّنا كفرتم – أيضًا–؛ لأنها أم المؤمنين، فاستحيوا من ذلك وخجلوا.

– قالوا: فالثالثة؟ قال: أما قولكم: خلع نفسه من إمارة المؤمنين، وإذا لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين، فإن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما عقد كتاب الصلح مع أبي سفيان وسهيل بن عمرو في صلح الحديبية، قال: "اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) " قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك ، اكتب اسمك واسم أبيك ، فمحا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الكتابة، وقال: "اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ، فرجع منهم عن مذهب الخوارج ألفان، وبقيت بقيتهم ، فقاتلهم علي بن أبي طالب (رضي الله عنه).

فانظر كيف أثَّر الحوار الهادئ القوي العميق في مثل هذه الرؤوس اليابسة ، حتى رجع منهم ألفان إلى مذهب أهل السنة والجماعة في مجلس واحد ببركة الهدوء في الحوار.

- **التواضع** : فالتزام التواضع له دور كبير في إقناع الآخر، وقبوله للحق ، فكلما ظهر من أحد المتحاورين التواضع ، لا يملك الآخر إلا أن يبادله بمثله أو أحسن منه ، ويلمس كلا المتحاورين خلقًا كريمًا، ويسمعان كلامًا طيبًا، وساعتها سيكون الحوار مثمرا، وفي الحديث الصحيح: «وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله» (رواه مسلم) ، ومن التواضع أن تقبل الحق ممن جاء به حتى ولو كان أعدى الأعداء ، فالمؤمن ضالته المنشودة هي الحكمة ، فهو باحث عنها لذاتها ، أنىَّ وجدها كان أحق الناس بها.

- **البعد عن المماراة والجدل الذي لا طائل تحته ولا فائدة من ورائه** ، فبسببهما تتشتت الكثير من القلوب، ولا يُقصد منهما إلا إفحام الخصم أو التشهير به فقط، ولذا حثنا ورغبنا الرسول (صلى الله عليه وسلم) في البعد عن المراء فعَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : « إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الأَلَدُّ الْخَصِمُ». (رواه البخاري في صحيحه) ، وعَنْ أَبِى أُمَامَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : « أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِى رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا وَبِبَيْتٍ فِى وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِى أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ » (رواه أبو داوود).

فالمراء والجدل في الحوار يعدان من التنطع في الدين ، وقد حذر منه النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ قَالَهَا ثَلَاثًا» (رواه مسلم).

- **رد الاختلاف إلى كتاب الله وسنة رسوله** صلى الله عليه وسلم مصداقًا لقوله تعالى:{ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}(النساء: ٥٩) ، شريطة أن نستنبط الأحكام بالطرق التي استنبط بها علماؤنا السابقون، وليس بالأهواء.
- **الإصغاء وحسن الاستماع**: فأكثرنا يجيد فن الحديث أكثر من فن الاستماع ، على الرغم من أن الله (عز وجل) جعل للإنسان لسانًا واحدًا ، وجعل له أُذنين حتى يسمع أكثر مما يتكلم ، ولكن : {وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ}(العنكبوت: ٤٣) فلابد أن نستمع جيدًا، وأن تستوعب ما يقوله الآخرون.

والإصغاء إلى المتحدث هو دأب النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) فربما تحدَّث معه بعض المشركين كعتبة بن أبي ربيعة بكلام لا يستحق أن يُسمع، فيصغي النبي (صلى الله عليه وسلم) ، حتى إذا انتهى الرجل وفرغ من كلامه قال له (صلى الله عليه وسلم): " أوقد فرغت يا أبا الوليد؟" قال : نعم، قال : (فاسمع مني) ، قال : أفعل، فقال(صلى الله عليه وسلم) : { بسم الله الرحمن الرحيم * حم * تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ } [فصلت : ١ : ٥] . ثم مضى رسول الله فيها ، يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت له ، وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما ، يسمع منه.

فبهذه الآداب والمبادئ نصل جميعا إلى حوار بناء لا يفسد للود قضية ولا يؤدي إلى التنازع والشقاق ، **غير أن هناك آفات في الحوار تجعل منه حوارا عقيما دون جدوى أو فائدة** ، منها :

رفع الصوت بالكلام : وكأن المحاور يرى أن انتصاره في الحوار لن يكون إلا عن طريق مبالغته في رفع الصوت على خصمه ، والله تعالى يقول: { إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} [لقمان:١٩].

تهويل مقالة الطرف الآخر وتحميلها ما لا تحتمل من المعاني ، بل يصل به الحال أن يصف كلام الآخر بالكفر، أو الفسق، أو الابتداع.

المبالغة في وصف الطرف الآخر بالصفات الذميمة التي تنال من شخصه واتهامه بالباطل ، فيصفه بما لا يليق من الأوصاف.

إن أدب الحوار يحتاج إليه الإنسان حتى مع من يختلف معه ليحفظ له حقه ، كما حفظ النبي (صلى الله عليه وسلم) حقوق الناس كلهم ، ويحتاج إليه العالم ليحفظ حقوق الطلاب ، ويعدل بينهم، ويفتح لهم صدره ، ويحتاج إليه الأب تحبُباً إلى قلوب أولاده ، ولا يكون ذلك إلا بالكلم الطيب.